

ريادة نهاد التكرلي للتقد الأديب العراقي الحديث

بين الحقيقة والوهم

أ.م.د. حيدر فاضل عباس

جامعة بغداد / كلية الآداب

dr.hayder.f.a@gmail.com

**Nihad Al-Tikarli's Pioneering of Modern Iraqi
Literary Criticism between Reality and Illusion**

Asst. Prof. Hayder Fadhil Abbas, Ph.D.

University of Baghdad, College of Arts

The highlighting of the criticism of criticism is doubly important in the time of political and cultural transformations because texts are a part of a cultural system that in some sense belongs to a political vision that is conveyed to readers, mostly, via the critic's ideological viewpoints. When criticism becomes a weapon in the hand of the critic in the war of conflicting ideologies, criticism comes out of the domain of intellectual enrichment of the culture of his time and enters into the domain of subversion of knowledge. Thus, criticism turns from a moment of revelation and enlightenment into a moment of delusion and misleading.

Key words: leadership, modern criticism, truth, delusion

المخلص:

تكتسب إضاءة نقد النقد أهمية مضاعفة في زمن التحولات السياسية والثقافية؛ ذلك أن النصوص هي جزء من منظومة ثقافية تنتمي، بشكل ما، إلى رؤية سياسية، تصل إلى القراء - في الغالب - عبر مُتبنيات الناقد الإيديولوجية، وحين يكون النقد سلاحاً بيد الناقد في حرب الإيديولوجيات المتصارعة، يخرج النقد من دائرة الإغناء الفكري لثقافة عصره، ويدخل دائرة التخريب المعرفي، وبذلك يتحول النقد من لحظة كشف وتبوير إلى لحظة تعمية وتضليل. الكلمات المفتاحية: الريادة، النقد الحديث، الحقيقة، الوهم

المقدمة:

يتعرض بعض النقاد إلى نصوص لا تستحق الدراسة والنقد بدافع المجاملات الشخصية لتحقيق منافع ذاتية على حساب النقد والموضوعية، فتكتسب هذه النصوص شهرة ويكتسب أصحابها حضوراً في المشهد الثقافي على حساب الرصين من النصوص وأصحاب الإبداع الأصيل. فالنقد يساعد على ضمان أن تظل نصوص بعينها مطبوعة دائماً في المؤسسات التعليمية الأكاديمية ويتناولها الباحثون بالدراسة باستمرار. وغير خافٍ أنه من الصعب انتشار النصوص الإبداعية التي لم يكتب عنها النقاد إلا نادراً.

وفي مقابل ذلك ليس هناك تصدٍ كافٍ لما هو ضعيف أو مزيف وطفيلي في ساحة النقد العربي، وكذلك حبُّ الشهرة والرغبة في الظهور والانتشار السريع للكسب المادي أنتج كتابات نقدية متعجلة أضرت النقد العربي الحديث في كثير من الأحيان وإلى جانب مجاملات بعض النقاد لنتاج بعض المتطفلين على الأدب هناك مجاملات بين النقاد أنفسهم، ومثال ذلك كتاب سامي مهدي: (نهاد التكرلي رائد النقد الأدبي الحديث في العراق) الذي نسب فيه سامي مهدي ريادة النقد الأدبي الحديث في العراق إلى صديقه نهاد التكرلي. هذا الكتاب سيكون مادة هذا البحث

الريادة وشروطها:

قبل الحديث عن الكتاب وتناول ما جاء به سامي مهدي بالفحص والنقد، لا بد أن نقف عند مفهوم الريادة الذي جاء في عنوان الكتاب ونتساءل: ما الريادة؟ وما شروطها؟ ولمن تتحقق؟

للريادة شروط ينبغي أن تتوفر كلها في وقت واحد لمن أراد أن يكون رائداً في مجال من مجالات الأدب أو نقده هي:

- 1- سبق الزماني التاريخي أي أن يسبق الرائد مجاليه فيما يأتي به وحده من غير مشاركة الآخرين له. وإلا كانت الريادة جماعية.
- 2- أن يأتي بجديد معتد به، خارجاً على ما هو مستقر ومألوف ومتداول في الساحة الثقافية والبيئة النقدية على أن يكون واعياً إلى ما جاء به ومُلْتَمِثاً إلى ماهية مشروعه الجديد. فلا بد أن يكون الرائد واعياً لعمله، فلا يكون سهواً أو غير واعٍ إلى ما جاء به، فالوعي ضامن الهوية.
- 3- إن الخروج على ما استقر في المؤسسات الرسمية خروجاً معتدّاً به، لا بد أن يصاحبه التأصيل والتظهير لهذا الخروج ببيان أو ما يشبهه البيان الرسمي.
- 4- أن يكون له اتباع ومؤيدون يتابعون نهجه وما جاء به في مقابل معارضييه. أي أن تصاحب هذه الممارسة الجديدة نشاط نقدي عنها، معها أو ضدها؛ لئلا تتشكّل تيار جديد أو مدرسة جديدة، مقابل التيار القديم أو المدرسة القديمة.
- 5- أن يكون له منجز في حقل تخصصه معتد به يتضمن آراءه الجديدة وما جاء به ودعا إليه. فلا يكون عملاً فردياً يتيماً.
- 6- أن يترك مشروعه أثراً واضحاً في الساحة الثقافية فليس كل من له اتباع ومؤيدون يُعدُّ رائداً.

وبناءً على شروط الريادة التي ذكرناها نتساءل:

- من هم الذين أثر فيهم نهاد التكرلي؟

- ومن هم الذين تعرض لهم بالنقد؟

- وما الأجناس الأدبية التي عالجهما في نقده؟
- ومتى ظهر وكمن من الوقت شغل الساحة النقدية وكان فيها مؤثراً؟
- ومن جايه من النقاد؟
- وما منهجه النقدي؟
- وهل يمتلك رؤية نقدية واضحة؟
- وما حجم مُنجزه النقدي؟ وما أصلته؟
- وكمن كتاباً نقدياً له؟

يُجيبنا عن هذه التساؤلات كلها سامي مهدي نفسه في كتابه الذي نتحدث عنه. ولبيان مَنْ أثر فيهم نهاد التكرلي نعتد على قول سامي مهدي نفسه إذ يقول: ((وقد انصب تأثير التكرلي المباشر على ثلاثة أدباء هم: القصاصان فؤاد التكرلي وعبد الملك نوري والشاعر عبد الوهاب البياتي)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٧٢).

في هذا النص يصرح سامي مهدي تصريحاً واضحاً لا لبس فيه أن التكرلي أثار تأثيراً مباشراً في ثلاثة أدباء: قاصان وشاعر. أما الشاعر عبد الوهاب البياتي فقد تخلّى عنه نهاد التكرلي بعد أن أصدر ديوانه (أباريق مهشمة).

يقول سامي مهدي: ((أما التكرلي نفسه فقد تفادى خوض معركة من أجل شاعر خان ثقته به، وترك الآخرين يقولون ما يشاؤون في الديوان وصاحبه، دون أن يرد عليهم)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٦٧).

أقول ليس على الشاعر أن يردّ على النقاد، بل على الناقد نهاد التكرلي الذي كتب مقالة أثنى فيها على الديوان وصاحبه أن يرد على النقاد! الغريب أن سامي مهدي يبزر سكوت التكرلي وتخليه عن البياتي وعدم خوض معركة أدبية من أجله؛ لأنّه ((خان ثقته به)) وتتساءل: ما هذه الخيانة؟

يقول سامي مهدي: ((والواقع أن الشعراء ترفقوا بالتكرلي على غير عاداتهم في حالة كهذه، وصبوا غضبهم على البياتي وشعره، بسبب تحوله السياسي وارتباطه بجماعة مجلة "الثقافة الجديدة")) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٦٧).

أقول على الناقد الذي أراد له سامي مهدي ريادة النقد الأدبي الحديث في العراق أن يفرّق بين الإبداع الأدبي والانتماء السياسي لصاحب ذلك الإبداع.

بقي أن نعرف تأثير التكرلي في القاصين فؤاد التكرلي وعبد الملك نوري، يقول سامي مهدي. ((أما تأثير نهاد في عبد الملك فأمره مختلف اختلافاً نسبياً. فقد كانت لعبد الملك بداياته المبكرة في كتابة القصة، وكانت له اطلاعاته وترجماته واجتهاداته، وهو قبل ذلك وبعد ذلك شخصية أدبية متكونة، فكرياً وسياسياً وفنياً، وكان بينه وبين نهاد سور إيديولوجي عالٍ، ولذا نفترض أنّه لم يكن يتلقى منه كما كان فؤاد يتلقى، بل إن فؤاد نفسه كان لا يستغني عن مشورة عبد الملك وسماع رأيه، ومع هذا كله تأثر عبد الملك بمفاهيم نهاد)) (مهدي، ٢٠١٥، الصفحات ٧٥-٧٦).

واضح من هذا النص أن عبد الملك نوري لم يكن متأثراً بنهاد التكرلي، فقد كان نوري شخصية ناضجة فكرياً وسياسياً وفنياً قبل نهاد التكرلي، فضلاً عن السور الأيديولوجي الذي يفصل بينهما، بل فؤاد التكرلي أخو نهاد كان لا يستغني عن مشورة عبد الملك نوري، وفي هذا بيان واضح عن أهمية نوري ومكانته النقدي، يقول فؤاد التكرلي: ((عبد الملك نوري القاص الحقيقي الأول في العراق)) (نوري، ١٩٨٧، صفحة ٩) (التلج، ٢٠٠١، صفحة ٢٠٥).

وكذلك يقول فيه: ((إن النتاج العراقي القصصي كله خلا نتاج عبد الملك نوري يجب أن يرمي في مياه دجلة لأن منتجيه ليسوا بأدباء إطلاقاً)) (نوري، ٢٠١٢، صفحة ١٢).

قد نتفق مع فؤاد التكرلي في ريادة عبد الملك نوري للقصة العراقية في قوله الأول، ولكننا لا نتفق معه في قوله الثاني إن صحت نسبته إليه، بل نرفضه رفضاً قاطعاً؛ ذلك أن الانفعال الشديد يضرّ بالنقد أيّاً كان رأيك وبصرف النظر عن القضية التي تتحدث عنها. إن إلغاء جهود الآخرين من أجل إثبات وجهة نظرك ليس من النقد في شيء (الطلال، ١٩٨٢، الصفحات ٥٩-٩٥) (نوري، ٢٠١٢، صفحة ٨، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٢).

يظهر مما سبق أن عبد الملك نوري لم يتأثر بنهاد التكرلي، بل هو من أثر في فؤاد التكرلي، وعليه يكون نهاد التكرلي مؤثراً في أخيه القاص فؤاد التكرلي فقط ويشاركه في هذا التأثير عبد الملك نوري. فهل تصح الريادة لمن أثر في قاص واحد؟!

التكرلي وحضوره النقدي الفاعل:

وعن طبيعة ظهور نهاد التكرلي والمدة التي كان فيها نشاطه النقدي مؤثراً في الساحة النقدية يقول سامي مهدي: ((كان التكرلي أشبه بشهاب سطح ضوءه في عتمة النقد فجأة، ثم اختفى وتلاشى بسرعة. فقد مارس الكتابة والنقد بحيوية كبيرة مدة أربعة أعوام (١٩٥٠ - ١٩٥٤) وبلغت حيويته ذروتها عامي (١٩٥٣ - ١٩٥٤) ثم توقفت عن النشر فجأة لأسباب خاصة وعمامة ليس هذا مجال الحديث عنها)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٨٣).

واضح أن المدة التي شغل فيها نهاد التكرلي الساحة النقدية، حسب قول سامي مهدي، كانت قصيرة أربع سنوات، بل المدة التي كان فيها مؤثراً هي سنتان فقط.

وكي يستقيم أمر الريادة لصاحبه كان لزاماً عليه أن يخلي الساحة النقدية في العراق من النقاد وقد ذكر منهم: محمود أحمد السيد، وعبد الحق فاضل، وأنور شأوول، وصلاح خالص، وعلي جواد الطاهر، وعبد القادر حسن أمين، وعبد الملك نوري، وفؤاد الوندادي، ومحيي الدين إسماعيل، وكاظم جواد، وحسين مردان (مهدي، ٢٠١٥، الصفحات ٨١-٨٣)، وألغى جهودهم النقدية كلها. دفعة واحدة بقوله: ((في واقع الأمر كانوا كتاب تعليقات وملاحظات وانطباعات أكثر منهم كتاب نقد علمي منهجي)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٨٣). وبعد أن غيب النقد من بيئة العراق وألغى جهود نقاده وصادر نتائجهم النقدي بسطر واحد، أخذته الحماسة والتعصب لصاحبه إلى تعييب النقد من البيئة العربية وإفراغها من النقاد وحبب جهودهم النقدية، إذ يقول: ((ظهر الناقد نهاد التكرلي في حقبة (١٩٥٠ - ١٩٥٤) كانت فيها الساحة النقدية العربية خالية من ناقد ممارس مهم، أو شبه خالية، هذا على الرغم من أن الأسماء النقدية التي لمعت في الحقبة التي سبقتها كانت ما تزال تحتفظ ببريقها، هي ومؤلفاتها ومكانتها العريضة، حتى بعد انصرافها إلى أنواع أخرى من التأليف أو انسحابها من ساحة النقد)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٩٠). فيذكر من نقاد مصر: طه حسين، وعباس محمود العقاد، وأحمد أمين، وأحمد حسن الزيات، وإبراهيم المازني، وزكي مبارك، ولويس عوض، وسيد قطب، ومحمد مندور، وشكري عياد، وعبد القادر القط، وعز الدين إسماعيل، ورجاء النقاش، وغالي شكري، وأنور المعداوي، ومحمود أمين العالم. ويذكر من نقاد لبنان: ميخائيل نعيمة، ومارون عبود، ورئيف خوري، والدكتور علي سعد. ويذكر من نقاد فلسطين: إحسان عباس، وجبرا إبراهيم جبرا. ويلغى جهودهم الريادية ونتائجهم النقدية التأصيلية كلها دفعة واحدة بحجج وهمية مقتعاً نفسه بحقيقتها، فيحاول أن يوزع على هذا العدد الكبير من النقاد العرب الأسباب التي وقفت عائقاً أمام ريادتهم النقدية أو اسهامهم في تأصيل النقد الأدبي الحديث، فيقول: منهم من انصرف عن الأدب ونقده إلى عالم الدراسات الفكرية والتاريخية وأصبح النقد نشاطاً ثانوياً، بل هامشياً لديه، ومنهم من صمت بسبب الشيخوخة أو الموت، ومنهم من انسحب انسحاباً مؤقتاً أو انسحاباً نهائياً، ومنهم من تفرغ للعمل السياسي، ومنهم من توقف عن ممارسة النقد، ومنهم من هو متنوع الاهتمامات وكان النقد أقل اهتماماته، ومنهم من اهتم بالموروث الأدبي أكثر من اهتمامه بالأدب الحديث، ومنهم من حاول أن يسد الفراغ النقدي لكن من دون جدوى، ومنهم من بقي أسير متبنياته الايديولوجية وتوجهاتها أو عدم فهمه لها أو تبسيطها الساذج، ومنهم من جمع بين المفاهيم النقدية العربية الموروثة والمفاهيم النقدية الغربية (مهدي، ٢٠١٥، الصفحات ٩٠-٩١). والعجيب أن سامي مهدي ألغى تأثير من سبق صاحبه من النقاد أمثال الدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض وسيد قطب، وهو القائل: ((علينا أن نتذكر أننا نتحدث عن حقبة (١٩٥٠ - ١٩٥٤) تحديداً، وليس عما قبلها ولا عما بعدها)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٩١). وكذلك ألغى تأثير من زامن صديقه أمثال أنور المعداوي ومحمود أمين العالم والدكتور علي سعد والدكتور إحسان عباس وجبرا إبراهيم جبرا وكأنه يُقرّر أن صديقه وصاحبه نهاد التكرلي قد تكوّن فكره النقدي من فراغ أو من طريق التوليد الذاتي للمعرفة! وأعجب من العجب أنه ألغى جهود من سيأتي بعد صاحبه فيقول: ((نستطيع أن نقول بكثير من الاطمئنان إنه أول، وربما آخر، ناقد أدبي عربي وجودي، بغض النظر عن رأينا بوجوديته)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٨٦). إذا كان الحديث عن المدة الزمنية المحصورة بين (١٩٥٠ - ١٩٥٤م) أمراً منطقياً مقبولاً؛ لأنه لم يكن قد ظهر بعد في الساحة النقدية في العراق -حسب ادعاء سامي مهدي- ناقد مؤثر، فما بال المدة الزمنية التي بعد عام (١٩٥٤م). فإذا سلّمنا أن نهاد التكرلي أول ناقد وجودي في العراق، فكيف نسلم أنه قد يكون آخر ناقد أدبي وجودي عربي؟! والغريب أن سامي مهدي جهد نفسه أن يُخلي الساحة العراقية من كل النقاد؛ كي تستقيم ريادة صاحبه للنقد العراقي الحديث! فلماذا جهد نفسه أيضاً لإخلاء الساحة العربية من النقاد العرب في تلك الحقبة؟ لأنّه يريد أن يتوج صاحبه رائداً للنقد العربي الحديث متجاوزاً عنوان كتابه (نهاد التكرلي رائد النقد الأدبي

الحديث في العراق) فيقول: ((وهكذا نرى أن التكرلي لم يكن سباقاً بين النقاد وكتبة النقد في العراق فحسب، بل كان كذلك في الوطن العربي أيضاً)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٩٨). لم يكن نهاد التكرلي وحيداً في الميدان النقدي، فمعه وقبله وبعده، أسماء نقدية لامعة، لها تميزها ومنجزها النقدي الكبير، ولكن كل هؤلاء النقاد قد أوردتهم سامي مهدي من موقع نقدي رافض لهم ولنتائجهم النقدي، ويسلمنا هذا الأمر إلى أن نهاد التكرلي، في اعتقاد سامي مهدي، هو الناقد الأوحى في الساحة النقدية العراقية والعربية! من غير المعقول أن كل هؤلاء النقاد الذين ذكرهم سامي مهدي، فرادى ومجتمعين، على الرغم من كل نتائجهم النقدي الأصيل والكبير عجزوا عن تحقيق ريادة نقدية، واستطاع التكرلي - حسب ادعاء سامي مهدي - على الرغم من ضآلة نتاجه كماً ونوعاً أن يحققها! إن هذا هو العمى الإيديولوجي الذي يغدو معه النقد بيد صاحبه سلاحاً في حرب الإيديولوجيات المتصارعة.

منهج التكرلي النقدي:

إذا تساءلنا عن المنهج الذي تبناه نهاد التكرلي في ريادته المزعومة للنقد الحديث في العراق يجيبنا سامي مهدي عن ذلك قائلاً: ((وهذا المنهج تحليلي، فلا هو وصفي ولا انطباعي ولا ذوقي)) (مهدي، ٢٠١٥، الصفحات ٤٤-٤٥). أقول التحليل غير دال على منهج معين، لأنه لا يشير إلا إلى عملية معالجة النصوص من غير أي توصيف منهجي يذكر، فالتحليل يدخل في كل المناهج أي أن كل منهج هو تحليلي. والوصف ينافي المعيارية، ولا ينافي التحليل بل يستلزمه، وهو ليس منهجاً أيضاً، إذ لا يمتلك منظومة إجرائية خاصة به، وإنما هو أداة عرض يمكن أن يستعين بها أي منهج نقدي، وأما الانطباع والذوق فهما جزء لا يتجزأ من ذات الناقد ولا ينفكان عن وعيه، وهو يجري المنهج الذي تبناه على النص الذي اختاره، ولا سيما أن النص الأدبي لغته رمزية تسمح بحضور الذات عند تحصيل مقاصد النص في أثناء اشتغال المنهج على النص. وكل ناقد يتبنى منهجاً نقدياً معيناً لا بد أن تكون له رؤية منهجية واضحة في طريقة تبنيه لهذا المنهج وكيفية توظيفه في معالجته الاجرائية، وفي ذلك يقول سامي مهدي: ((أما التكرلي فقد تبنى فكر سارتر تبنيًا مطلقاً وبشر به، وحاول نقل فكره ومفاهيمه ومعاييره إلى الأدب والنقد بإسهاب ودون اعتراض، بل بإعجاب شديد وحماسة كبيرة)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٨٦). إن التبني المطلق، وعدم الاعتراض، والإعجاب الشديد، والحماسة الكبيرة، كلها من سمات النقد الانطباعي الذوقي، وكلها من سمات طفولة النقد، وهي بالتأكيد لا تليق بمن خلع عليه سامي مهدي لقب رائد النقد الأدبي الحديث في العراق، ويقول سامي مهدي: ((وقد نواخذ التكرلي على أنه لم يستقبل السارترية برؤية نقدية، بل تقبلها تقبل العقيدة التي لا باطل فيها، ولكننا نقر، مع ذلك، بأهمية الدور النقدي الذي نهض به من أجل تحديث الأدب في العراق)) (مهدي، ٢٠١٥، الصفحات ٨٤-٨٥). أقول: إذا كان نهاد التكرلي فاقداً لرؤية نقدية خاصة به، ولم يستقبل الوجودية السارترية برؤية نقدية، ((بل تقبلها تقبل العقيدة التي لا باطل فيها)). فكيف يكون ناقداً أصلاً، فضلاً عن ريادته النقد الأدبي في العراق، ومع كل ما يقره سامي مهدي بحق نهاد التكرلي من نظريته الأحادية تجاه السارترية يعود ويقول: ((ولكننا نقر، مع ذلك، بأهمية الدور النقدي الذي نهض به من أجل تحديث الأدب في العراق)). ناسياً، بل متناسياً أن الماركسية قد سبقت الوجودية في حضورها في ساحة النقد العراقي والعربي وقد رفض تأثيرها لأن أصحابها كانوا يؤمنون بالواقعية في الأدب والفن، فهو يرفض أثر الماركسية في النقد العراقي؛ لأنها أصحابها كانوا شيوعيين وماركسيين وليسوا نقاداً فيقول: ((قد يعترض علينا معترض فيقول: ولكن النقد الأدبي الماركسي قد سبق التكرلي، وهو يحمل كل المزايا التي تتسبها إلى محاولاته النقدية، فنرد عندئذ ونقول: لا، لم يكن ثمة نقد أدبي ماركسي في العراق قبل أن يمارس التكرلي الكتابة النقدية، بل كان هناك شيوعيون وماركسيون يؤمنون بالواقعية في الأدب والفن، وكان مفهوم الواقعية لديهم غامضاً ومشوشاً، قوامه أفكار عامة مستمدة من واقعية القرن التاسع عشر وطبيعته، ومؤطرة برؤية ماركسية ساذجة وجامدة للموضوعات والشخصيات وأرقى ما مثل هذا النقد مقالات عبد الملك نوري المنشورة في السنوات (١٩٥٣-١٩٥٥)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٨٣). ولكنه لا يجري هذا المعيار على صاحبه نهاد التكرلي حين يتحدث عنه فيقول: ((وقد يعترض علينا، أيضاً، من يؤاخذ التكرلي على وجوديته، أو سارتريته، فنقول: نعم. لقد كان الرجل وجودياً سارترياً في رؤيته للعالم، وفي منهجه النقدي، ومعاييره الجمالية، ولكن ما الضير في ذلك إذا نظرنا إليه من خارج الإيديولوجيات المتمزئة وقبورها وحساباتها السياسية؟)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٨٤). ولا أدري لماذا لا ينظر سامي مهدي إلى النقاد الآخرين من خارج الإيديولوجيات التي ينتمون إليها؟ إن ما يجيزه لنفسه ولصاحبه التكرلي لا يجيزه للنقاد الآخرين!، ذلك أنه أسير نظرة أحادية ضيقة تحجب عنه رؤية الحقيقة مهما كانت واضحة. ((لا نريد أن نتحدث هنا، كما تحدث آخرون، عن خطاب هيمنة ما زال الأستاذ سامي محكوماً به في كثير من كتاباته وأبحاثه التي يتم فيها تهميش المعادين والخصوم، والرفع من قيمة آخرين من غير الواقعيين تحت هذه الهيمنة؛ لا نريد كذلك أن نقول إن هؤلاء المعادين والخصوم هم الشيوعيون أو الماركسيون بشكل عام، وأن نهاد التكرلي الذي دخل في معارك لم يخترها معهم ووقف بعض المواقف

ضدهم، قد تعرّز موقعه لدى الأستاذ سامي المحكوم بعقيدته العروبية القومية والمنخرط في صراع ظاهر ومضمر مع الآخر المتمثل في هؤلاء الشيوعيين والماركسيين وفكرهم المعادي بسبب خارجيته. نعم، لم تكن نريد أن نذكر شيئاً من ذلك لولا إحساسنا أنه من نوع المسكوت عنه في هذا الخطاب)) (خضير، ٢٠١٨، صفحة ٥٢).

وأتساءل: أيمكن أن يقوم بالتحديث ناقد لا يملك رؤية نقدية؟!

التكرلي والترجمة

الحق أن نهاد التكرلي كان مترجماً وشارحاً لأفكار سارتر ومتبنياً لفلسفته الوجودية وهذا ما أكده سامي مهدي نفسه بقوله: ((والواقع أن المفاهيم النقدية التي جاء بها سارتر، وتبناها التكرلي وكتب عنها، أحدثت خلخلة كبيرة في المفاهيم التي كانت سائدة يومئذ في أوربا نفسها، وخاصة مفاهيم الواقعية المذهبية، وكشفت قصورها وجمودها من ناحية، ومهدت لظهور النقد الجديد الذي يُعنى بالأثر من ناحية أخرى)) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ٤٧). يقول سامي مهدي عن المنهج الوجودي الذي زعم أن التكرلي أول من بشر به وتبناه في النقد العراقي: ((ومع أن التكرلي لم يحظ بفرصة مناسبة لتطبيق هذا المنهج في كتاباته النقدية، ولكنه كتب دراسة مطولة عنه نشرت في مجلة (أفكار معاصرة) التي تصدر في باريس، وعرف به قبل ذلك في كتابه "اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر") (مهدي، ٢٠١٥، الصفحات ٤٦-٤٧). أقول إذا لم يحظ التكرلي بفرصة مناسبة لتطبيق المنهج الوجودي فكيف يكون رائداً للنقد الأدبي الحديث في العراق، ولا سيما أن سامي مهدي حين تحدّث عن أهمية التكرلي النقدية حصرها في تبني هذا المنهج. أما قوله: ((ولكنه كتب دراسة مطولة عنه نُشرت في مجلة "أفكار معاصرة" التي تصدر في باريس))، فهو لم يذكر لنا عنوان هذه الدراسة!، ولم يُبين طبيعتها! أي دراسة تنظيرية أم دراسة تطبيقية؟ ولم يشر إلى السنة والعدد الذي ظهرت فيه هذه الدراسة! وأما قوله: ((وعرف به قبل ذلك في كتابه "اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر")، فلم يكشف لنا عن طبيعة هذه الدراسة المطولة ولكن بالعودة إلى الكتاب المذكور (التكرلي، ١٩٧٩)، يتبين أن هذه الدراسة هي عرض للوجودية السارترية في فرنسا والغريب حقاً أن كتاب (اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر) صدر في العام (١٩٧٩م) عن الموسوعة الصغيرة (٣٦)، دار الحرية للطباعة، بغداد. أنسي سامي مهدي أنه يتحدث عن نشاط نهاد التكرلي النقدي في المدة (١٩٥٠-١٩٥٤) فقط أم أنه تغافل عن ذلك؟ ولا سيما أنه ذكر هذا الكتاب في الملحق الأول من كتابه وثبت سنة صدوره في العام (١٩٧٩م) (مهدي، ٢٠١٥، صفحة ١١٧). لا نريد أن نبخس جهد التكرلي في الترجمة والتعريف بالفكر الوجودي، ولكن في الوقت نفسه لا نريد كذلك أن نحجب جهود الآخرين - كما فعل سامي مهدي - من أجل تضخيم جهد صاحبه، ليظفر بالريادة النقدية، مع ضالة ما قدمه قياساً إلى غيره من النقاد، ومع اعتراف نهاد التكرلي نفسه بفضل الآخرين عليه ولا سيما عبد الرحمن بدوي فهو يقول: ((إنه تأثر كثيراً بوجودية عبد الرحمن بدوي وبالمجلات المصرية واللبنانية التي تتحدث عن فلسفة العبث لألبير كامو وقصته الغريب قبل أن يبدأ رحلته مع الفكر الوجودي)) (خضير، ٢٠١٨، صفحة ٤٨)، لذلك أتفق مع رأي الدكتور ضياء خضير في قوله: ((لا نجد من العدل أن يسجل المؤلف تقوق التكرلي عليه لمجرد عدم عناية بدوي بفلسفة سارتر الوجودية قدر عنايته بالفكر الوجودي الألماني الذي يمثل المنبع والأصل للوجودية الفرنسية بمختلف تصنيفاتها، مع أن بدوي هو مترجم كتاب سارتر الفكري الأساسي في الوجودية (الوجود والعدم) بصرف النظر عن رأي بدوي المترجم في هذا الكتاب، والأسباب التي دفعته إلى ترجمته وبصرف النظر أيضاً عن كون عبد الرحمن بدوي هو صاحب التأثير الوجودي الأول في نهاد التكرلي نفسه، حسب ما يعترف به هذا الأخير، وحسب ما يشير إليه المؤلف نفسه)) (خضير، ٢٠١٨، صفحة ٤٢). وعلينا أن نشير إلى أن أغلب: ((هذه المقالات مترجمة أو معدة عن أصول فرنسية، وليست موضوعة أو مكتوبة من قبل نهاد التكرلي نفسه، وهي لا تنتسب إلى التكرلي قدر نسبتها إلى أصحابها، حتى إذا كان التكرلي قد تبنى هذه المقالات وكتب إضافات وشروحات لها وبوجي منها)) (خضير، ٢٠١٨، صفحة ٥٠)، وعلينا كذلك أن نذكر أن التكرلي نفسه قد أشار إلى المصادر الفرنسية التي استقى منها ترجماته: ((لقد أشار التكرلي نفسه إلى كل هذه المصادر في دراساته ومقالاته، كما ذكرنا، وهي لا تصنع منه الناقد والمفكر الذي يعتقد الأستاذ سامي مهدي في هذا الكتاب، حتى إذا لم يرق الشك إلى أصالة فهمه لهذه النصوص الفرنسية التي ترجمها أو عدها أو كتب في ضوئها)) (خضير، ٢٠١٨، صفحة ٥١)، ولكن سامي مهدي يحجب عنا هذه المصادر ليوحي لنا أنها من بنات أفكار التكرلي؛ لتستقيم الريادة لصاحبه: ((تبدو علاقة سامي مهدي بنهاد التكرلي، من بعض الوجوه، مثل علاقة مؤلف ببطل من أبطاله، لا تكتمل روايته إلا بانتصار البطل وإحرازه لقب السبق رغم العقبات والصعوبات، ووجود الأقران والمنافسين. وبما أن البطل المخلوق هو، في الوقت نفسه، مكون من مكونات البطل الخالق، يظل الحرص على تحقيق الانتصار ضرورياً لأنه يعني انتصاراً للمؤلف نفسه)) (خضير، ٢٠١٨، صفحة ٥٤).

إن الريادة هي السبق الذي يحققه أديب أو ناقد أو تيار أدبي أو نقدي يتمثل بالخروج على تقاليد مستقرة في مجال الإبداع أو النقد، وابتكار أساليب وأشكال جديدة لتأسيس تيار جديد، فلا يمكن أن نطلق لقب الريادة على كل من شارك بوضع لمحة نقدية بسيطة أو لمسة فنية عابرة، ولكن الذي يستحق لقب الريادة من وضع القواعد الجديدة وشيّد البناء وارتفع به حتى غداً قبلة للآخرين ومناراً للمجددين. وإذا كان نهاد التكرلي ناقداً بلا منجز نقدي، إذ لم يكن له في ذلك الوقت أي كتاب نقدي مطبوع، فهو رائد بلا ريادة! نهاد التكرلي ناقد مقالي تنظيري وجودي في مجال القصة فقط، عرّف الآخرين - مع غيره - بالفلسفة الوجودية ومفاهيمها وأعلامها، ولا نبخس حقه في ذلك، أما أن يكون رائداً للنقد الأدبي الحديث في العراق كما يزعم سامي مهدي، فنقول: الريادة النقدية لا تكون إلا لمن له دراسة نقدية تطبيقية واحدة - في الأقل - سبق بها غيره من النقاد، ذلك أن ((المناهج مرمية على الطريق العام: المطلوب هو التوطين)) (مناصرة، ٢٠٠٧، صفحة ٢٦)، فالتطبيق آفة المناهج، وهو الذي يطور المعرفة ويدفع بمسار البحث نحو الأمام، ذلك أن المعرفة بذاتها لا يمكن أن تتحدّد إلا إجرائياً .

النتائج:

- ١- يُعدُّ نتاج نهاد التكرلي - كماً ونوعاً - هامشاً إذا وضع إلي جنب نتاج أغلب من ذكرهم سامي مهدي من نقاد العراق والعرب، ولا سيما علي جواد الطاهر، وطه حسين، وإحسان عباس، وجبرا إبراهيم جبرا.
- ٢- ينبغي النظر إلى النقد الأدبي العراقي بوصفه جزءاً من المشهد النقدي العربي، ذلك أنه بادل النقد العربي أخذاً وعطاءً، وتأثراً وتأثيراً.
- ٣- كل ناقد يرى صوته النقدي هو صوت الحقيقة الأوحده، هو أسير هيمنة أنساق ثقافة دكتاتورية لا ترى في مرآة النقد إلا نفسها. وهناك إيهامات معرفية وأوهام ثقافية مركوزة في ذاكرتنا التاريخية، هي بحاجة إلى المعاينة النقدية للمتون التي أنتجتها، وفحص الموجّهات النصية التي شجعت على استمرار تداولها في الساحة الثقافية.
- ٤- إن حضور الناقد المؤثر في الساحة النقدية ليس له علاقة بحضور شخصه أو غيابه بقدر حضور فكره النقدي الفاعل من عدمه، فالمنجز النقدي الأصيل لا ينتهي تأثيره بغياب صاحبه.
- ٥- يسمح نقد النقد أن يرى ناقد الأدب ذاته النقدية في مرآة غير مرآته، وهي فرصة لتصحيح مساره النقدي، أو تعزيز قناعاته النقدية وترسيخها، وقد تفتح له أفقاً معرفياً جديداً لم يكن في منظوره النقدي.

المصادر:

١. اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، نهاد التكرلي، منشورات وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م.
٢. الأعمال القصصية الكاملة، تحرير: هاتف الثلج، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١.
٣. جمرة النص الشعري - مقاربات في الشعر والشعراء، والحدائث والفاعلية، عزّالدين المناصرة، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠٠٧.
٤. نيزول الخريف أقاصيص، عبد الملك نوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧.
٥. سامي مهدي ناقداً، د. ضياء خضير، دار ميزوبوتاميا، العراق - بغداد، شارع المتنبّي، ط١، ٢٠١٨.
٦. عبد الملك نوري ريادة فنية وسايكولوجية في القصة العراقية، مؤيد جواد كاظم الطلال، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، ٢٠١٢م.
٧. نهاد التكرلي رائد النقد الأدبي الحديث في العراق، سامي مهدي، دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع، العراق - بغداد، شارع المتنبّي، ط٢، ٢٠١٥.
٨. الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية، مؤيد الطلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢م.